

أضواء البيان

@ 14 وما ذكره جلّ - وعلا في هذه الآية الكريمة من أن الكفار كذبوه وادّعوا عليه أن القرآن كذب اختلقه ، وأنه أعانه على ذلك قوم آخرون جاء مبيّناً في آيات أخر ؛ كقوله تعالى : { وَاعْجِبُواْ أَنْ جَاءَهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْهُمْ وَمَا يَكْفُرُونَ } هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ { ، وقوله تعالى : { وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً مَّا كَانَتْ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُواْ إِزْمَمْنَا أَنْتَ مُفْتَنِرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } ، وقوله تعالى : { بَلْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا كَذَّابًا } هَذَا جَاءَهُمْ فَهَمْ فِي أَمْرٍ مَّزِيحٍ { ، وقوله تعالى : { وَكَذَّابٌ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ } ، والآيات في ذلك كثيرة معلومة . .

وما ذكره جلّ - وعلا في هذه الآية الكريمة من أنهم افتروا على النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه أعانه على افتراء القرآن قوم آخرون جاء أيضاً موضحاً في آيات أخر ؛ كقوله تعالى : { وَلَقَدْ زَعَمُواْ أَنْزَلْنَاهُ كَقَوْلِ شَاعِرٍ قَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا يُعْزِمُهُمُ بِالْغَيْبِ } ، وقوله تعالى : { فَقَالَ إِنِّ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ } ، أي : يرويه محمد صلى الله عليه وسلم عن غيره { إِنِّ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ } ، وقوله تعالى : { وَلَقَدْ كُذِّبُواْ دَرَسَاتٍ } ، كما تقدّم إيضاحه في (الأنعام) ، وقد كذبهم الله جلّ - وعلا في هذه الآية الكريمة فيما افتروا عليه من البهتان بقوله : { فَقَدْ جَاءُوا طُلُمًا } وَزُورًا { ، قال الزمخشري : ظلمهم أن جعلوا العربي يتلقن من الأعجمي الرومي كلاماً عربياً أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب ، والزور هو أن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه إليه ، انتهى . وتكذيبه جلّ - وعلا لهم في هذه الآية الكريمة ، جاء موضحاً في مواضع أخر من كتاب الله ؛ كقوله تعالى : { لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ } وَهَذَا لِّسَانُ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ { ، كما تقدّم إيضاحه في سورة (النحل) ، وقوله : { وَكَذَّابٌ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ } ، وقوله تعالى : { فَقَالَ إِنِّ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنِّ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * } وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ { ، لأن قوله : { سَأُصْلِيهِ سَقَرَ } بعد ذكر افتراءه على القرآن العظيم يدلّ على عظم افتراءه وأنه سيصلى بسببه عذاب سقر ، أعادنا الله وإخواننا المسلمين منها ، ومن كل ما قرب إليها من قول وعمل . .

واعلم : أن العرب تستعمل جاء وأتى بمعنى : فعل ، فقوله : { جَاءُوا طُلُمًا } أي : فعلوه ، وقيل : بتقدير الباء ، أي : جاءوا بظلم ، ومن إتيان أتى بمعنى فعل قوله

تعالى : { لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْهَرُونَ بِمَا أَوْفُواْ ، أَي : بما فعلوه .
وقول زهير بن أبي سلمى